

## الحد الفاصل

في عالم كعالمنا يموج بالتيارات الفكرية المختلفة والمتصارعة، يكثُر الحديث عن العلاقة بين الرجل والمرأة بشكل لا يخلو من الخطورة أحيانا. وقد اتسعت دائرة الجدل لينصب بشدة ويتمحور حول الدور الذي يلعبه الجنس اللطيف والمكانة التي ينشدها في داخل المجتمع.

فالثقافة السائدة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، للأسف، ذهبت بتطرفها بعيدا لتحصر المرأة في أدوار تقليدية حدثت من حركتها ووضعها على هامش الحياة، غير أن محاولات كانت تجري بين الحين والآخر لإعادة انتاج النظرة إلى حق العضوية الاجتماعية الذي يجب أن تتمتع به حواء طبيعيا، أتاحت بعض الفرص أمام الكثيرات للتعلم والعمل والمشاركة مع الرجل في أكثر من صعيد ومناسبة.

ولم تقتف تلك الثقافة عند هذا الحد ولم تكتف بالتهميش الذي مارسته بحق المرأة وإنما تجاوزت في أحيان كثيرة لتتنظر إلى هذا الكائن البشري نظرة احتقار واستلاب.

ولا يمكن قصر السبب في ذلك على عامل واحد دون غيره كما لا يصح استبعاد متغير المرأة ذاتها عن المعادلة إذ لا بد أن يكون لوجودها وحركتها في المسار التاريخي من أثر بالغ في النتيجة النهائية.

والأهم من تلك المقدمة كلها هو أن تعي المرأة بنفسها المسؤولية في علاقة الشراكة مع الرجل التي أقرتها الأديان والقوانين معا، وأن ترسم بريشتها ملامح الصورة المعبرة عن حقيقة أهدافها وتطلعاتها ولا تسمح لأية محاولة صيد فاشلة أو قيومية محرفة أو وصاية موهومة تبدر من جانب الرجل مهما كانت شعاراته المرهوقة براقة ومهما كانت الألقاب من قبيل (نصير المرأة) وأمثالها التي يدعيها البعض زورا لتمير مشروع التامري ضد المجتمع الإنساني النبيل وفطرته السليمة.

وبرأيي إن على المرأة أن تعيد قراءة المشهد الاجتماعي بعين سحرية تنفذ نظرتها إلى باطن الأشياء ولا تكتفي بظواهرها السرابية الخادعة. هذا أولا ومن ثم عليها ثانيا إعادة قراءة التاريخ بعين لا تقل عن سابقتها سحرية وعمقا فلا تكتفي بقراءات الآخرين وإسقاطاتهم الكثيرة الناشئة غالبا من التراكمات الانفعالية التي خلفتها القراءات الناقصة أو المبتسرة والتقليدية لأهم مفاصل التاريخ وأكثرها حرجا. وعليها ثالثا أن تعيد قراءة النصوص الدينية المتعلقة بالمرأة نفسها لكي تصل إلى فهم صحيح لظاهرة حواء بعيدا عن تلك الزخرفية في التفسيرات اللاموضوعية التي زحرت بها الذهنية الشعبية ولم تقوَ بعد على كسر قوالبها النمطية والجاهزة.

بهذا وحده يتم للمرأة اكتساب المعرفة بواقعها الذاتي ومن هنا تبدأ خطوتها الأولى نحو رسم الدور الطبيعي والمكانة الحقيقية لها في إطار المجتمع وعندئذ يمكنها تعيين الحد الفاصل بينها والرجل إن وجد.

سكرتير التحرير

تحت عنوان

